شهادات

اين انتم ايها الخوارج ؟

١

متى يوجد فينا هؤلاء الخوارج المتحدون المبارزون المعاقبون لنا ؟ متى يوجد فينا كتاب ، بل متى يوجد فينا كاتب واحد يشعر انه يجب ان يقول فينا وعنا مثلما يقول هؤلاء الكتاب اليهود والانجليز والأميركيون والروس وغيرهم في قومهم وفي آبائهم، وفي قبورهم ومعابدهم ؟ متى يوجد فينا كاتب واحد يشعر انه يجب أن يقول مثل ذلك ، ثم يجسر على قوله، ثم نسمح له نحن بقوله له، بل نحرضه بكل اساليب التحريض على قوله ؟

متى يوجد فينا كاتب واحد يرى انه يمكن ان يقول مثل ذلك اوشيئا منه دون ان يصبح خائنا خيانة وطنيةودينية وقومية واخلاقية وفكرية في تقديره هو لنفسه ،ودون ان يصبح محكوما عليه بهذه الخيانة وبكل عقوباتها المختلفة، بكل أساليبها وتعبيراتها ، بكل قضاتها ومنفذيها ؟ بل متى يوجد كاتب عربي واحد يرى أنّ مثل هذا قد يكون مطلوبا او معقولا او مسموحا به ، او أن من الواجب او من المفروض ان يسمح به ؟

متى يوجد فينا احساس بان هذا يجب ان نفعله ، واحساس بان هذا يجب أن نقبله ؟ متى يوجد فينا تحريض من داخلنا يعلمنا بانه يجب ان يوجد فينا من يفعلون ذلك ، وباننا يجب ان نبارك هؤلاء الذين يفعلونه ؟

ان مثل هؤلاء الكتاب لا يوجدون الا في مجتمعات ذات مستويات عالية في موهبتها وذكائها واخلاقها وفي كل مستويات تحضرها. ان وجود كتاب يجدون تحريضا من انفسهم لينطلقوا في هذا الاتجاه علامة على هذه المستويات العالية . ان وجودهم في مجتمعات معينة علامة أخرى على هذه المستويات العالية في هذه المجتمعات .

اذن وجود مثل هؤلاء الكتاب علامة مركبة على تفوق المجتمعات التي يخرجون منها ، ويخرجون فيها . فمتى توجد فينا هذه العلامة المركبة — متى توجد ؟

إن وجود مثل هؤلاء في مجتمع ما لن يجعل فهم الاخرين مثل هذا المجتمع لوجودهم فيه، فهماً أردأ من فهمهم له بدونهم ، وان هؤلاء الآخرين لن يجرؤوا على قتال هذا المجتمع وهزيمته لان كتابا منه هاجموه وشككوا في مزاياه أكثر من جرأتهم وقدرتهم على مقاتلته وهزيمته بدون مهاجمة هؤلاء الكتاب وهجائهم له . وان الشمس لن تهب نفسها لمثل هذا المجتمع لخروج هؤلاء الكتاب منه وفيه أقل او أسوأ مما تهب نفسها له بدون خروجهم . وان الله لن يغضب على هذا المجتمع عقابا له على

وجود هؤلاء الكتاب فيه ، وانه لن يكون أكثر رضاء ومحبة ومجازاة مرضية للمجتمعات التي لا يوجد فيها امثالهم . ان وجودهم في أي مجتمع لن يجعل رجاله ولا نساءه يفقدون شهيتهم لاعطاء الاطفال او يقللون من اعجابهم بابنائهم الاغبياء المشوهين المرضى .

اذن فوجود امثال هؤلاء الخوارج المبارزين المتمردين لا يعني أية خسارة من أي نوع ، بل إنه يعني ربحاً كبيرا ، كبيرا منوعا مركبا. أما فقدهم الدائم من أي مجتمع فذلك هو الهجاء — هو العلامة الكبيرة على فقد المزايا الكبيرة. ان أشد الناس مبارزة لانفسهم وخروجا عليها وبغضا لها هم العظماء والمتفوقون. إن الصعود والنظافة والنزاهة ليست الا اساليب في مقاومة الذات. انك بقدر ما تكون نظيفا وشريفا تكون خارجا على ذاتك . ان أشد المجتمعات تقدما هي أكثرها خروجا على آبائها وأربابها وانبيائها وتاريخها ، هي اكثرها رفضا لهم وعدوانا عليهم .

٢

اننا كافراد ينبغي ان نكون دائما في صيغة مبارزة ورفض لانفسنا ، في صيغة خروج منها وعليها ان نكون دائما مسافرين منها ، محاربين لها — اننا كمجتمعات ينبغي ان نكون كذلك ايضا مع أنفسنا. إننا — افرادا ومجتمعات يجب ان نكون اعداء لانفسنا ، ان نكون أشد الأعداء لأنفسنا ، ان نقاتلها ونطاردها مثلما نقاتل ونطارد أشد أعدائنا . كل ذات وكل مجتمع يجب ان يكونا جبهتي قتال يقتتل فيهما الشيء مع نفسه .

حياتنا يجب ان تكون دائما في حالة حرب مع تاريخنا . تفكيرنا يجب ان يكون في حالة حرب دائمة مع اربابنا ومعلمينا . يجب ان نكون في حالة خروج دائم على آبائنا ورفض دائم لهم . ان ابناءنا يجب ان يكونوا في حالة مقاومة ورفض دائمين لنا . ان آباءنا أعداء لنا ، انهم في معنى الأعداء. ان انبياءنا واربابنا ومعلمينا اعداء لنا ، إنهم في معنى الأعداء ، انهم منطق الأعداء .

يجب ان نكون دائما في حالة شقاق وخروج ومقاومة وقتال وسفر — افرادا ومجتمعات ، بكل الاساليب على كل المستويات ، في كل الجبهات . ان مسالمتنا لانفسنا وتلاؤمنا معها واستقرارنا — افرادا ومجتمعات — خمود ووقوف وموت وعجز وانهزام. الحياة المبدعة الخلاقة هي الدائم والمبارزة الحرب الدائمة والخروج الدائم على نفسها ، هي الانشقاق الدائم على نفسها ، هي الرفض الدائم والمبارزة الدائمة لنفسها . الحياة المبدعة الخلاقة هي ان نعيش مع انفسنا دائماً كاعداء ، ان يعيش في داخلنا دائما اقوى الأعداء ، وكل الأعداء . الحياة المبدعة الخلاقة هي ان يوجد بيننا ، من انفسنا ، في انفسنا ، مفترسون ، يفترسون تاريخنا وآباءنا وآلهتنا وكل ما لدينا من قصور وقبور ، ومن شعراء وانبياء ومعلمين — يفترسون هدوءنا وكبرياءنا وكل امجادنا وكل اغانينا لانفسنا ، وكل قصائدنا في انفسنا .

يجب ان يوجد فينا هؤلاء المفترسون ، ان يجيئوا الينا بقسوة ووحشية ، ان يجيئوا الينا قساة متوحشين . واذا لم يجيئوا وجب ان ندعوهم إلى المجيء ، ان نخلقهم ، ان تستعيرهم إذا لم نستطع ان نخلقهم كما نستعير من الآخرين اشياءهم الاخرى .

ان الذين يعلموننا الخروج على آبائنا وانبيائنا واربابنا وتاريخنا ، ويعلموننا مقاتلتهم وهزيمتهم هم كالذين يعلموننا الخروج على امراضنا وغبائنا وجهلنا وبؤسنا وتخلفنا ، ويعلموننا مقاتلة كل ذلك وهزيمته . ان هؤلاء هم هؤلاء ، انهم ليسوا مثلهم وحسب ، إنهم هم هم . ان عملهم واحد ، ان منطقهم واحد ، انهم شيء واحد . ان وجود اربابنا وانبيائنا وآبائنا وتاريخنا في نظمنا ومذاهبنا

واخلاقنا ومشاعرنا ومنطقنا – حينما يكونون مطاعين قائدين – ليسوا افضل او اقل سوءاً من وجود الامراض والغباء والجهل والبؤس والتخلف في حياتنا واعضائنا وعقولنا .

ان الابالسة المرتدين الذين يخرجون فينا ليبارزوا اسلافنا ومعلمينا وآلهتنا وتاريخنا ، ليجلوهم عن حياتنا ونفوسنا وتفكيرنا ليسوا اقل فضيلة او نفعاً لنا من العلماء والاطباء وكل الناس النافعين الذين يقاومون كل ما نعاني من تخلف واوبئةو بؤس وجهالات فيزيلونها. الحياة هي التجاوز الدائم، هي تجاوز الشيء لنفس الشيء ، هي تجاوز الانسان للتاريخ ، وتجاوز الابناء للآباء ، وتجاوز الفكر للارباب والمعلمين ،وتجاوز الحركة للحركة ، وتجاوز اليوم للأمس ، والغد لليوم. إنها تجاوز الموقف للموقف ، والرؤية للرؤية والمنطق للمنطق والكبرياء للكبرياء. الحياةهي دائماً تجاوز الحياة للحياة ، تجاوز الانسان للانسان . انها تجاوز كل حركة للحركة التي قبلها ، انها هي قتل الحركة للحركة ، انها هزيمة الحركة للحركة . الحياة هي الهزيمة الدائمة للارباب والاسلاف والمعلمين وللتاريخ ، ولكل يوم يمر . انك لا تتقدم الا بقدر ما تقاتل وتهزم نفسك وتاريخك واسلافك واربابك وانبيائك . ان هؤلاء هم قيودك ، هم اعداؤك هم لصوص حياتك . ان انتصارك يعني انهزامك ، ان انتصارك يساوي انهزامك . ان انهزامك يعني انتصارك، ان انهزامك يساوي انتصارك. ان المنتصر فيك دائماً هو المنهزم فيك ، ان المنهزم فيك دائماً هو المنتصر فيك . انك انت المنتصر المنهزم دائماً وفي كل الحالات . لا يمكن ان تكون منتصراً دون ان تكون منهزماً . لا يمكن ان تكون منهزماً دون ان تكون منتصراً . ان شيئاً فيك لا بد ان ينهزم لكي ينتصر فيك شيء . ان شيئاً فيك لا بد ان ينتصر لكي ينهزم شيء فيك – لكي تكون منتصراً لانك منهزم ، لكي تكون منهزماً لانك منتصر . ان ذاتك ، ان مجتمعاتك ، لا بد ان تتحول إلى ميادين قتال، لا بد ان تكون انت القاتل المقتول . لا بد ان تكون انت المحارب وانت العدو وانت جبهات القتال ، كل جبهات القتـــال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣

ان تجاربي المتراكمة عن الانسان العربي تجارب حزينة ، حزينة ، حزينة . إنها ابداً حزينة . انها تزداد حزناً كلما ازددت له تجربة وكلما ازددت فيه تحديقاً . كلما نوى وحسب وقدرومارس . ان كل نياته وحساباته وتقديراته وممارساته تعذيب لمن يراه ، لمن يقرؤه، لمن يفسره. انه تعذيب للرؤية وللتفكير وللقراءة .

أما الكاتب العربي فان تجاربي عنه اعنف واقسى تركيزاً وارهاقاً . وقد تكون اسباب تخصيصي الكاتب العربي بالمزيد من ذلك اسباباً غامضة ، ولكنها قد تكون اسباباً مفسرة ومفهومة جداً . قد يكون التفسير لذلك أن رؤيتي للكاتب العربي أكثر واحد واعمق من رؤيتي للانسان العربي الآخر . وقد يكون التفسير ان رغبتي في الإحصاء على الكاتب أكثر . وقد يكون التفسير أن الكاتب يحول ضعفه إلى اعلان متكرر مقتحم . أنه لا يمارس ضعفه وعاهاته بصمت او بلا مجاهرة وتشهير ، او بلا مباهاة ، كما يصنع سائر الناس . بل انه يجعل من ذلك اعلاناً صائحاً مفروضاً مردداً . وقد يكون التفسير ان الكاتب أكثر ضعفاً ونقائص ، أكثر ممن ليس كاتباً . وقد تكون اسباب تفوقه في الضعف والنقائص اسباباً سابقة على كونه كاتباً ، وان سبقها هو الذي حوله إلى ان يكون كاتباً . وقد تكون اسباب هذا التفوق في الضعف اسباباً بادئة مكسوبة لأن الاساليب والظروف التي يمارس بها وفيها مهنته تحكم عليه بلا تدبير بأن يكون اكثر سوءاً وأجرأ على ممارسة الافتضاح والفسوق العقلي والنفسي والسلوكي .

إني ارهب التحديق في الكاتب : في نياته ، في حوافزه، في ممارساته لنفسه ولمهنته ولحياته. إني ارهب التحديق في مستوياته . ان تجاربي المتراكمة عن الكاتب العربي تجعلني ارتجف خوفاً من التحديق فيه . ان تجاربي المتراكمة عن الكاتب العربي تجعل النظر اليه برؤية وبقراءة وبتفسير نوعاً من المخاطرة الباهظة . تجعل النظر اليه نوعاً فظيعاً من بذاءة الرؤية ، ووقاحة الناظر .

٤

الكاتب هو الكذب الذي يتحدث عن الصدق ، والضعف الذي يتحدث عن القوة ، والاستسلام الذي يتحدث عن الإباء ، والنفاق الذي يزعم انه لم يقبل ان يكون حياً او انساناً او كاتباً إلا لكي يقاتل النفاق . هو الاحتياج إلى أقل مستويات الشجاعة الذي يتحدث عن أعلى مستويات الشجاعة ، الذي لا يعيش الا كل مستويات الشجاعة .

الكاتب هو الانانية التي لا تتحدث إلا عن الإيثار ، التي لا تفعل إلا الفداء ، التي لا تؤمن إلا بالفداء . هو البغض الذي لا يعيش إلا بالحب ولا يفعل إلا الحب . هو الحسد الذي لا تمارس مشاعره سوى الاعجاب . هو التاجر الذي لا يتعامل إلا بالصداقة، هو الجسد الذي لايجد في ذاته سوى الروح ، الذي لا تقتات اعضاؤه بسوى الروح . هو الروح التي لا تتغذى الا بما يتغذى به أكثر الاجساد جوعاً إلى الذنوب والوحشية .

الكاتب هو الجوع الدائم إلى الخبز – الذي لا يجوع إلا إلى المثل والقيم والاخلاق ، والذي لا يتغذى إلا بالمثل والقيم والاخلاق . هو البذاءة التي لا تعلم إلا التهذيب ، وهو الافتضاح الذي لا يعلم إلا الاحتشام والحياء . هو معلم التعصب والقسوة والغباء الذي لا يعلم سوى التسامح والرحمة والذكاء. هو داعية الطغاة ومفسر مزايا الطغيان الذي لا يقتل الطغاة ولا يشرح جرائم الطغيان سواه. هو نبي الرجعية والجمود الذي لم يبعث نبي لمقاومة الرجعية والجمود وهزيمتهما إلا ليتعلم منه محاربتهما وهزيمتهما .

الكاتب هو نظافة البرغوث الذي لا يقبل ثمناً لحياته ، الذي لا يقبل ثوباً لجسده ولا لثيابه أقل من نظافة الشمس ، هو التلوث والتلويث الذي لا يتخاطب إلا مع النظافة والتنظيف . هو الارض التي تتكبر على هامات النجوم – التي تعاتب النجوم على انخفاض مكانها .

الكاتب هو الذي يشتم الناس ويعاقبهم ويغار منهم باسلوب من يدافع عنهم ويغار من اجلهم ، ويحميهم من كل الذئاب واللصوص . هو الذي يتحدث عن آلامه وهمومه ومشاكله وعاهاته هو ، إلى الناس ، في آذان الناس ، في بيوت الناس ، فوق الناس ، ويبكي بدموعه هو ، ويتألم باعصابه هو ، يفعل ذلك باسلوب من يتحدث عن آلام ومشاكل وهموم وعاهات الشموس والنجوم والأرباب، بأسلوب من يبكي بدموع الانهار والغمام ، باسلوب من يتألم باعصاب كل الكون ، بأعصاب كل من في الكون .

انه هو الذي يحول همومه الخاصة إلى هموم عالمية ، إلى هموم كونية . إنه هو الذي يحول ذاته الخاصة إلى ذات عالمية ، كونية . إنه هو الذي يقرأ عاهاته التي لا يراها سواه ولا يحسها سواه ، ولا يفكر فيها سواه في كل بيت ومعبد ومخدع ومكان . الكاتب هو الذي يحدث الناس عن نفسه بأسلوب من يحدثهم عن الكون وعن الآلهة وعن المذاهب والنظم ، وعن الخير والشر ، وعن كل شيء ما سوى نفسه .

ولكن هل الكاتب بكل هذا النبل ، أو هل هو بهذا السوء القليل وحسب ؟

هل الكاتب هو الذي يتحدث نظيفاً وجيداً ، ويحيا رديئاً وملوثاً ؟ انه اذن نصف السوء ، أو إنه نصف الكمال – او انه اذن ليس كل السوء وكل الرداءة – او ان له اذن صورة جميلة او ثياباً نظيفة . وقد يكون هذا افضل من ان تكون ذاته وثيابه غير نظيفة . وقد يكون تلوث القلب مع نظافة البدن افضل من تلوثهما معاً . وقد يكون اتساخ القلب دون الثوب افضلمن اتساخهما معاً.

الكاتب ليس هو هذا ، ليس الكاتب بكل هذا المستوى من الفضيلة ، او بهذا القليل من السوء . الكاتب هو الذي يحيا السوء والكذب والنفاق والهوان والاستسلام والخوف وعبادة الاوثان والطغيان والرجعية والجمود والتعصب والقسوة ثم يحولها إلى دعوة ، إلى نبوة ، إلى تعاليم ، إلى مثل وقيم اخلاقية ودينية ومذهبية وانسانية ، يكون خائناً وزنديقاً وعدواً من يخرج عليها ، من يرفض الاقتناع بأنها أعلى مستويات الطموح الانساني إلى النظافة والصدق والشجاعة والتدينوالاخلاق والرفض والحريـــة .

إذا كان الكاتب في ظروف تغريه او ترهبه ليكون كذاباً منافقاً ، مضللا عابداً للاوثان والطغيان فهل يكتفي بأن يمارس ذلك وحسب ، أم لا بد ان يبشر به ويتحول إلى داعية ، إلى نبي ، يعلمه ويفسره ويمتدحه ؟ ان الكاتب ليس هو الذي يكذب وينافق ويهون ويخدع ويعبد الشيطان والجحيم وحسب ، بل هو كذلك الذي يفعل كل ذلك ويحوله إلى نبوات ، إلى نبوات يقتل من يرفض الايمان والتبشير بها .

الكاتب هو الذي يبكي من اجلنا بلا دموع ، ويرحمنا بلا قلب ، وينظر الينا ، الى عذابنا واحزاننا ومشاكلنا وكل الآمنا – ينظر الينا ، الى كل ذلك بتحديق ولكن بلا معاناة . هو الذي يكتب عنا ويكتب لنا ، ويكتب من اجلنا ، ويكتب في كل حياتنا وشؤوننا ولكن بلا حب ، بلا صداقة لنا . انه هو الذي يتحدث عما يريد ولكن دون ان يبالي بما نريد . هو الذي يطلقاحزانه علينا باسلوب من يعالجنا من احزاننا . انه المهاجم لنا الذي يشبه المد افع عنا .

هل اتحدث عن الكاتب العربي ، ام عن كل كاتب ، هل اتحدث عن الكاتب وحده ام عن كل معلم عن كل نبي؟ هل انا كاتب يتحدث باخلاق الكتاب ام انا مشاهد بريء يتعذب من طول تحديقه في الكتاب ، من تجاربه المتراكمة عن الكتاب ؟

ان قراءتي للكاتب العربي وتحديقي فيه قد تحولا الىجراح عميقة، عميقة. انها تزداد عمقا... تزداد عمقا . . .

عبدالله القصيمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com